

فوائد لغوية

Notes lexicographiques.

افصح كلام العرب

Mots classiques.

يتولى تحرير الصحف والمجلات كتاب متفاوت الدرجات في البلاغة والفصاحة . ومن الغريب أن فصحاء المنشئين قد يخطئون في ما يخطئون جرّياً على ما يرون أو يسمعون من أولئك الكتبة الضعفاء . فلهذا أردنا أن نعقد فصلاً نشير فيه إلى تلك الأوهام الثلاثة تسري إلى سائر الخاصة أو إلى الكتّاب ، إذ بين أولئك السفرة رجال يعدون من الطبقة الأولى بين الناطقين بالضاد .

وقد وسعنا هذا الفصل «بافصح كلام العرب» لأننا لا نريد أن نخفى . أحداً إذاً كل خطأ في العربية قد يوجه فيخرج من وصفه نعت يحط من صحته . فمثلاً إن قام خالد وخالداً وخالد (أي بالضم ويانصب وبالجر) ليس من الخصال . إذ كل واحدة من هذه الحالات قد توجه فيقال : رفع خالد في الأول على الفاعلية ونصب في الثاني على تقدير قام رجل يسمى خالداً . وجر في الثالثة على تقدير قام رجل يعرف بخالد . ولقد ترى مثل هذه التوجيهات شيئاً كثيراً في كتب القوم من تفسير . وحديث . وأدب . ودواوين شعر . ونحو . وفقه . وأصول .

ولهذا لا نكر على أحد توجيه كلامه الضعيف وإنما نريد أن نبين هنا لأفصح مما نطق به أبناء عدنان وما جاء مخالفاً له لا يمد من طبقته .

١ — محادثات مع ...

رأينا أحمد كبار الكتاب نعت ما عربه من الفرنسية بقوله : « محادثات مع أفاتول فرانس » فهذا التعبير وإن كان جائزاً عند العوام ومن أخذ أخذهم إلا أنه لا ينطق به فصيح : بل يقول : « محادثات أفاتول فرانس » لأن الفاعلة لا تكون إلا مع ثان ، فالتك لا تقول حدثت معه ، بل حدثته . به أو قولنا محادثات مع فلان هي بمعنى جرت معه . أو وقعت معه . بل أن الأفصح هو ما أوردها .

قال في تاج العروس في مادة جاد في كلامه عن المجاهدة : قال شيخنا :
والأتيان بمع فيه ، من لحن العامة كما نصوا عليه . اهـ
وهكذا القول في كل ما جاء على المفاعلة فإنه لا يردف بمع بخلاف التفاعل
فإنك تقول تعادلت معه وتشارك معه وتعارض معه .
٢ - لم تات (كذلك) بمعنى (ايضا) (ولا كذلك)

نشأت طبقة من الكتاب في هذه السنين الأخيرة وقد آلت على نفسها أن
لا تستعمل في كلامها حرف « ايضا » اعتقادا منها أن الكلمة دخيلة في العربية
أو أنها غير فصيحة . والحال أن الكلمة عربية صرفة وقد وردت في مصنفات
أكابر اللغويين من أقدمين ومحدثين . ولا يجوز أبدا أن يستعمل في مواضعها
« كذلك » إذ معنى هذه اللفظة غير معنى تلك . فقولك (كذلك) كقولك
(مثل ذلك) أو (مثل هذا) إلا أن (هذا) للقريب و (ذلك) للبعد .

ومنهم من لا يحب تكرير (كذلك) فيقول (كذلك) وهذه أفسح .
فاستمع ما يقول صاحب لسان العرب : « في حديث عمر : كذاك لا تدعروا
علينا ابنا ، اي حسبكم ، وتقديره : دع فمالك وامرك كذاك ، والكاف الأولى
والأخرة زائدتان للتشبيه والخطاب . والاسم (ذا) . واستعملوا الكلمة كلها
استعمال الاسم الواحد في غير هذا المعنى . يقال : رجل كذاك اي خبيث .
واشتر لي غلاما ولا تشتري كذاك اي ذيبا . وقيل حقيقة كذاك اي مثل
ذاك . ومعناه الزم ما أنت عليه ولا تتجاوز . والكاف الأولى منصوبة الموضع
بالفعل المضمر . وفي حديث بكر (رضى) يوم بدر : يا بني الله كذاك اي
حسبك الدعاء ، فإن الله منجز لك ما وعدهك » الا كلام ابن مكرم .

واما ورود (ايضا) في لسان العرب والغاموس والتاج والصحيح والمصالح
والغريب وغيرها من كتب اللغة ، فأكثر من أن يحصى . على أننا نسأل هؤلاء
المتحلقين ان يقولوا لنا كيف سيكون هذا العبارة الواردة في لسان العرب
عند محوهم لفظة (ايضا) وابدالهم لها (بكذلك) . ودونت العبارة منقولة عن
مادة بيد ، قال : « لان (ان) التي للانكار مؤكدة موجبة » ونعم « ايضا كذلك »
أو والتي بمعنى نعم « ايضا كذلك » اهـ . فكيف يفضلون وقد جعل المؤلف

الكلمتين الواحدة منهما بجانب الأخرى مينا ان معنى ايضاً غير «ن» كذلك .
فمن تتحداهم بـ ابدال (ايضاً) بـ (بكذا) في هذه العبارة .

أما ان لفظاً (ايضاً) هي من اللاتينية item فمن المضحك كانت . نعم ان
الكلمة الأجنبية تفيد هذا المعنى . لكن كيف انتنا وفي اي عصر وكيف عريت ؟
هذا كله من قبيل الأسرار الغامضة وهل من المحتمل ان تكون من تلك اللغة
الغريبة ؟ — فهذا زعم باطل . لان الذي نقل عن الرومان الفاظ دقيرة او اجتماعية
او سياسية . وليست (ايضاً) من هذا الوادي .

والذي نص عليه في اللسان هو ما يأتي : « آض يشيخ ايضاً : سار (كذا
في الأصل المطبوع ونظنه « صار » ليتفق وما بعده) ولان صاحب القاموس
والتاج والصاح ذكروا صار من معاني آض ولم يذكروا سار . فليحفظ به
لتصبح ما ورد في اللسان) وعاد وآض الى اهله : رجع اليهم . قال ابن دريد :
وفعلت كذا وكذا ايضاً . من هذا اي رجعت اليه وعدت . وتقول افعل ذلك
ايضاً . وهو مصدر آض يشيخ ايضاً اي رجع . فاذا قيل لك فعلت ذلك ايضاً
قلت : اكثر من ايض . ودعني من ايض » اه — ومثل هذا او يكاد بـ
الصاح والمصباح .

وفي اللغات السامية الفاظ مشتقة كلها من مثل معنى هذا الفعل فمنها من تاب
يثوب . ومنها من عاد يعود الى غيرهما . فيقول الآريون : (توبا) او (عود)
بمعنى العريضة (ايضاً) . فكيف ينكرون عريضة لفظتنا . وما هي ازلتهم ؟
سامهم الله !

٣ — خطأهم في النسوب

ويكاد جميع الكتاب يخطئون في النسوب المزد على ثلاثة احرف انتهى
بالف او هاء . فيقولون مثلاً فرنساوي وحباري وجمادي ومرامي في النسبة
الى فرنسة (افرنسا) وحباري وجمادي ومرامي وقد منع العرب ذلك وفصحاؤهم
يقولون فرنسي وحباري وجمادي ومرامي فان الآلاف او الهاء تسقط اذا نسبت
الى مثل هذا الاسماء سواء كانت الآلاف اصلية او زائدة للتأنيث او تغير
التأنيث (راجع كتاب مييويط طبع مصر ٢ : ٧٨ وما على حقيقته لابي هبة
في الصفحة المذكورة ولغة العرب ٤ : ٤٨٦ وما يليها) .

٤- ليس فقط بل ...

ومما كثر فساد وجل وروده في كلام المعاصرين من أرباب القلم قوالهم « ليس فقط لم أرهم متناقضين بل واغلبهم ، من مشاهير الصوص . »

Non seulement : ليس فقط من سقيم النقل عن لغة الأماجم :
je les trouve hypocrites, mais encore voleurs remarquables.

وزادوا هذه الحركة سقما ان زادوا وراء « بل » حرف العطف « و » و « بل » .

وكل هذا التركيب تنفر منه نفس العربي الحر . والمشهور في مثل هذا الموضع

قولهم : « لم أرهم متناقضين فقط بل كذلك لصوصا واغلبهم من مشاهير الصوص »

ومثل هذا الكلام ما جاء في كلام الجاسط في البيان (٢ : ٩ من طبعة المطيب)

« ولم أرهم يتعمنون المتكلف للبلاغة فقط ، بل كذلك يتعمنون المتصرف والمتكلف

للقناة ... »

ولمرب صيغة اخرى لمثل هذه الفكرة ، وهي قوالهم : رأيت اغلبهم من

مشاهير الصوص ، فضلا عن اني رأيت اغلبهم من المتناقضين . وهذا التركيب لا يور

على السنتهم وهو ارسق قواما من الاول وان لم يكن فيه قوة تلك العبارة .

قال في نشوار المعاصرة (١ : ٦٢) : « وكان يتعصر عليها بالباء ، فضلا

عما سواه » . وفي كتاب العمدة لابن رشيق (ص ٢١) : « وتقول (لا تخطئ)

من امراض المسلمين اشراقهم . ما لا ينبغي مع مثلها علوي ، فضلا عن

نصراني » .

فقد رأيت من هذا ان الجمع بين ليس فقط متجاورتين لم يرد في كلام

احد فصحاءهم ، وكذلك الجمع بين « بل والواو » متجاورتين .



تصحيح

نهنا حضرة صديقنا عبداللطيف تبيان ان ما ذكرناه في ص ١١٩ سطر ١٠

« حلت البيوت » هو دون « حلت الرقاع » شهرة وان كان ما وجهنا اليه النظر صحيح

لا غبار عليه . وما ذهبنا اليه ص ١٢٠ من قولنا « مسابقة الركان » هو « مسابقة

الركان » فتمضنا الشكر ونقرضنا وخطأنا . (ل . ع .)

